

سورة المزمّل

وهي مكية كلها بإجماعهم

إلا أنه قد روي عن ابن عباس أنه قال: سوى آيتين منها، قوله تعالى { وَ طَبِيرٌ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ } والتي بعدها { لِمُزْمَلٍ } وقال ابن يسار، ومقاتل: فيها آية مدنية وهي قوله تعالى { إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ } { لِمُزْمَلٍ } .

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يَا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ * قُمْ لَيْلًا قَلِيلًا * تَضَعُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ لِقُرْآنٍ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ تَابِئَةَ لَيْلٍ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَ ذُكِّرْ سَلَّمَ رَبَّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ لَمَشْرِقٍ وَ لِمَغْرِبٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ يُخَذُّهُ وَ كَيْلًا * وَ طَبِيرٌ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَ هُجْرَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَ دَرَنِي وَ لِمُكَدِّبِينَ أُولَىٰ أَلْبَعَمَةِ وَ مَهْلَهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْتَنَا أَنْكَالًا وَ جَحِيمًا * وَ طَعَامًا ذَا عُصَبَةٍ وَ عَدَابًا أَلِيمًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ وَ كَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا * إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً * فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا * السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ كَأَنَّ وَعْدَهُ مَفْعُولًا }

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ } وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وأبو مجلز، وأبو عمران،

والأعمش: «المتزمل» بإظهار التاء. وقرأ عكرمة، وابن يعمر: «المزمل» بحذف التاء

وتخفيف الزاي قال اللغويون: «المزمل» المتلف في ثيابه، وأصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي. فثقلت وكل من التف بثوبه فقد تزمل قال الزجاج: وإنما أدغمت فيها لقبها منها. قال

المفسرون: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه في أول ما جاء جبريل فرقا منه

حتى أنس به. وقال السدي: كان قد تزمل للنوم. وقال مقاتل: خرج من البيت وقد لبس ثيابه

فناداه جبريل: يا أيها المزمل وقيل: أريد به متزمل النبوة. قال عكرمة: في معنى هذه الآية:

زملت هذا الأمر، فقم به. وقيل: إنما لم يخاطب بالنبي والرسول ها هنا، لأنه لم يكن قد بلغ،

وإنما كان في بدء الوحي.

قوله تعالى: { قُمْ لَيْلًا قَلِيلًا } أي: للصلاة. وكان قيام الليل فرضا عليه { إِلَّا قَلِيلًا تَضَعُ } هذا بدل

من الليل، كما تقول: ضربت زيدا رأسه.

فإننا ذكرت زيدا لتوكيد الكلام، لأنه أوكد من قولك: ضربت رأس زيد. والمعنى: قم من الليل

النصف إلا قليلا { أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا } أي: من النصف { أَوْ زِدْ عَلَيْهِ } أي: على النصف. قال

المفسرون: انقص من النصف إلى الثلث، أو زد عليه إلى الثلثين، فجعل له سعة في مدة

قيامه، إذ لم تكن محدودة، فكان يقوم ومعه طائفة من المؤمنين، فشق ذلك عليه وعليهم،

فكان الرجل لا يدري كم صلى، وكم بقي من الليل، فكان يقوم الليل كله مخافة أن لا يحفظ

القدر الواجب، فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى { إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي لَيْلٍ }

{ الآية، هذا مذهب جماعة من المفسرين. وقالوا: ليس في القرآن سورة نسخ آخرها أولها

سوى هذه السورة، وذهب قوم إلى أنه نسخ قيام الليل في حقه بقوله تعالى { وَ مِنْ لَيْلٍ }

فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ } [الإسراء: 79] ونسخ في حق المؤمنين بالصلوات الخمس. وقيل: نسخ

عن الأمة، وبقي عليه فرضه أبدا. وقيل: إنما كان مفروضا عليه دونهم، وفي مدة فرضه

قولان:

أحدهما: سنة، قال ابن عباس: كان بين أول المزمّل وآخرها سنة.

والثاني: ستة عشر شهرا، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: { وَرَتِّلْ لِقُرْآنٍ } قد ذكرنا الترتيل في { لِقُرْآنٍ } .

قوله تعالى: { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا } وهو القرآن. وفي معنى ثقله ستة أقوال:

أحدها: أنه كان يثقل عليه إذا أوحى إليه. وهذا قول عائشة قالت ولقد رأيتَه ينزل عليه في

اليوم الشديد البرد. فيفصم عنه، يعني يتخلص عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا.

والثاني: أن العمل به ثقيل في فروضه وأحكامه، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: أنه يثقل في الميزان يوم القيامة، قاله ابن زيد.

والرابع: أنه المهيب، كما يقال للرجل العاقل: هو رزين راجح، قاله عبد العزيز بن يحيى.

والخامس: أنه ليس بالخفيف ولا السفساف، لأنه كلام الرب عز وجل، قاله الفراء.
والسادس: أنه قول له وزن في صحته وبيانه ونفعه، كما تقول هذا كلام رصين، وهذا قول
وزن: إذا استجدته. ذكره الزجاج.

قوله تعالى: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ} قال ابن مسعود، وابن عباس، هي قيام الليل بلسان الحبشة.
وهل هي في وقت مخصوص من الليل، أم في جميعه؟ فيه قولان:
أحدهما: أنها في جميع الليل. وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه قال: الليل كله ناشئة.
وإلى هذا ذهب اللغويون.

قال ابن قتيبة: ناشئة الليل ساعاته الناشئة، من نشأت: إذا ابتدأت. وقال الزجاج: ناشئة الليل
ساعات الليل، كل ما نشأ منه، أي: كل ما حدث وقال أبو علي الفارسي: كان المعنى إن صلاة
ناشئة، أو عمل ناشئة الليل.

والثاني: أنها في وقت مخصوص من الليل، ثم فيه خمسة أقوال:
أحدها: أنها ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك.

والثاني: أنها القيام بعد النوم، وهذا قول عائشة، وابن الأعرابي. وقد نص عليه أحمد في رواية
المرودي.

والثالث: أنها ما بعد العشاء، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وأبو مجلز.
والرابع: أنها بدء الليل، قاله عطاء، وعكرمة.

والخامس: أنها القيام من آخر الليل، قاله يمان وابن كيسان.

قوله تعالى: {هِيَ أَشَدُّ وَطْأً} قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، «وطأً» بكسر الواو مع المد، وهو
مصدر واطأت فلانا على كذا مواطأة، ووطأ، وواراد أن القراءة في الليل يتواطأ فيها قلب
المصلي ولسانه وسمعه على التفهم للقرآن والإحكام لتأويله. ومنه قوله تعالى: {لِيُؤَاطِئُوا
عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ} [التوبة: 37] وقرأ الباقر «وطأ» بفتح الواو مع القصر والمعنى: إنه أثقل
على المصلي من ساعات النهار، من قول العرب: اشتدت على القوم وطأة السلطان: إذا
ثقل عليهم ما يلزمهم ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم اشدد وطأتك على مضر»
ذكر معنى القراءة بين ابن قتيبة. وقرأ ابن محيصن «أشد وطأ» بفتح الواو، والطاء، وبالمد.
قوله تعالى: {وَأَقْوَمُ قِيلاً} أي: أخلص للقول، وأسمع له، لأن الليل تهدأ فيه الأصوات فتخلص
القراءة، ويفرج القلب لفهم التلاوة، فلا يكون دون سماعه وتفهمه حائل.

قوله تعالى: {إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا} أي: فراغا لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل
لعبادتك، قاله ابن عباس، وعطاء، وقرأ علي، وابن مسعود، وأبو عمران، وابن أبي عبله
«سبخا» بالخاء المعجمة قال الزجاج: ومعناها في اللغة صحيح يقال: قد سبخت القطن

بمعنى نفشته، ومعنى نفشته: وسعته فيكون المعنى: إن لك في النهار توسعا طويلا.

قوله تعالى: {وَ لِكُرِّ سَلَامِ رَبِّكَ} أي: بالنهار أيضا {وَتَبَيُّلِ إِلَيْهِ تَبْيِيلاً} قال مجاهد: أخلص له
إخلاصا. وقال ابن قتيبة: انقطع إليه، من قولك: بتلت الشيء: إذا قطعت. وقال الزجاج:
انقطع إليه في العبادة ومنه قيل لمريم البتول، لأنها انقطعت إلى الله تعالى في العبادة.
وكذلك صدقة بتلة:

منقطعة من مال المصدق، والأصل في مصدر تبتل تبتلا. وإنما قوله تعالى: {تَبْيِيلاً} محمول
على معنى تبتل {رَبِّ لَمَشْرِقٍ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم «رَبُّ»
بالرفع وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، بالكسر. وما بعد هذا قد سبق
{الشعراء: 28} إلى قوله تعالى {وَكَيْلًا وَ طَبِيرًا عَلَى مَا يَقُولُونَ} من التكذيب لك والأذى
{وَهُجْرُهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} لا جزع فيه. وهذه الآية عند المفسرين منسوخة بآية السيف
{وَدَّرَنِي وَ لِمُكَدِّبِينَ} أي: لا تهتم بهم فانا أكفيكمهم {أُولَى اللَّعْمَةِ} يعني التمتع وفيمن عني
بهذا ثلاثة أقوال.

أحدها: أنهم المطعمون ببدر، قاله مقاتل بن حيان.

والثاني: أنهم بنو المغيرة بن عبد الله، قاله مقاتل بن سليمان.

والثالث: أنهم المستهزئون وهم صناديد قريش، حكاة الثعلبي.

قوله تعالى: { وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا } قالت عائشة فلم يكن إلا اليسير حتى كانت وقعة بدر، وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح.
قوله تعالى: { إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا } وهي القيود واحدها، نكل وقد شرحنا معنى الجحيم في {البقرة: 119} { وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ } وهو الذي لا يسوغ في الحلق، وفيه للمفسرين أربعة أقوال:

أحدها: أنه شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج، قاله ابن عباس، وعكرمة.
والثاني: الزقوم، قاله مقاتل.

والثالث: الضريع، قاله الزجاج.

والرابع: الزقوم والغسلين والضريع، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: { يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ } قال الزجاج: هو منصوب بقوله تعالى { إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا } والمعنى: ينكل الكافرين، ويعذبهم، { يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ } أي: تزلزل. وتحرك أغلظ حركة.
قوله تعالى: { وَكَأَنَّ الْجِبَالَ لَحِبَالٌ } قال مقاتل: المعنى: وصارت بعد الشدة، والقوة «كثيبا» قال الفراء: «الكثيب» الرمل. و«المهيل» الذي ترحك أسفله، فينهال عليكم من أعلاه. والعرب تقول: مهيل ومهيول، ومكيل ومكيول، وقال الزجاج: الكثيب جمعه: كثبان، وهي القطع العظام من الرمل. والمهيل: السائل.

قوله تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ } يعني: أهل مكة { رَسُولًا } يعني محمدا صلى الله عليه وسلم { شَاهِدًا عَلَيْكُمْ } بالتبليغ وإيمان من آمن، وكفر من كفر { كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا } وهو موسى عليه السلام، والويل: الشديد قال ابن قتيبة: هو من قولك استوبلت: المكان إذا استوخمته. ويقال: كلاً مستوبل أي: لا يستمرأ. قال الزجاج: الويل الثقيل الغليظ جدا. ومنه قيل للمطر العظيم. وابل قال مقاتل: والمراد بهذا الأخذ الويل العرق. وهذا تخويف لكفار مكة أن ينزل بهم العذاب لتكذيبهم، كما نزل بفرعون.

قوله تعالى: { فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا } أي: عذاب ويوم. قال الزجاج: المعنى: بأي شيء تتحصنون من عذاب يوم من هوله يشيب الصغير من غير كبر. وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران «نجعل الولدان» بالنون.

قوله تعالى: { السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ } قال الفراء: السماء تذكر وتؤنث. وهي ها هنا في وجه التذكير. قال الشاعر:

فلورفع السماء إليه قوما لحقنا بالسماء مع السحاب

قال الزجاج: وتذكير السماء على ضربين.

أحدهما: على أن معنى السماء معنى السقف.

والثاني: على قولهم: امرأة مرضع على جهة النسب. فالمعنى: السماء ذات انفطار، كما أن المرضع ذات الرضاع. وقال ابن قتيبة: ومعنى الآية السماء: منشق به، أي: فيه، يعني في ذلك اليوم. قوله تعالى: { كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا } وذلك أنه وعد بالبعث فهو كائن لا محالة.

{ إِنَّ هَذِهِ تَذِكْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ لِيَحْدِ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي لَيْلٍ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَهُ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ تُخِصُّهُ فِتَابَ عَلَيْكُمْ فَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ رَسُولِهِ وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ لَا تَمُوتُ أَبَدًا }
{ إِنَّ هَذِهِ تَذِكْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ لِيَحْدِ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي لَيْلٍ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَهُ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ تُخِصُّهُ فِتَابَ عَلَيْكُمْ فَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ رَسُولِهِ وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ لَا تَمُوتُ أَبَدًا }

{ إِنَّ هَذِهِ تَذِكْرَةٌ } أي: تذكير وموعظة { فَمَنْ شَاءَ لِيَحْدِ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا } بالإيمان والطاعة.

قوله تعالى: { إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى } أي: أقل { مِنْ ثُلُثِي لَيْلٍ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ } وقرأ ابن كثير، وأهل الكوفة. بفتح الفاء والثاء. والباقون: بكسرهما.

قوله تعالى: { وَطَائِفَهُ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ } يعني: المؤمنين { وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ } يعلم مقاديرهما فيعلم القدر الذي تقومون به من الليل { عَلِمَ أَنْ لَنْ تُخِصُّوهُ } وفيه قولان:

أحدهما: لن تطيقوا قيام ثلثي الليل، ولا ثلث الليل، ولا نصف الليل، قاله مقاتل.
والثاني: لن تحفظوا مواقيت الليل، قاله الفراء. {قَتَابَ عَلَيْكُمْ} أي: عاد عليكم بالمغفرة
والتخفيف {وَقُرَّءُوا مَا تَبَسَّرَ} عليكم {مِنْ لُقْرَاءَانِ} يعني: في الصلاة من غير أن يوقت
وقتا. وقال الحسن: هو ما يقرأ في صلاة المغرب والعشاء. ثم ذكر أَعْدَارِهِمْ فقال تعالى:
{عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْصُيٌّ} فلا يطيقون قيام الليل، {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ} وهم
المسافرون للتجارة {يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} أي: من رزقه، فلا يطيقون قيام الليل، {إِنَّ
رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ} وهم المجاهدون، فلا يطيقون قيام الليل، {وَقُرَّءُوا مَا تَبَسَّرَ مِنْ
لُقْرَاءَانِ} وذكروا أن هذا نسخ عن المسلمين بالصلوات الخمس، فذلك قوله تعالى: {وَإِذْ
أَخَذْنَا} أي: الصلوات الخمس في أوقاتها {وَأَفْرِضُوا لِلَّهِ قَرَضًا حَسَنًا} وقد سبق بيانه
{لِحَدِيدٍ} قال ابن عباس: يريد سوى الزكاة في صلة الرحم، وقرى الضيف {وَمَا تُقَدِّمُوا
لأنفسكم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ} أي: تجدوا ثوابه في الآخرة {هُوَ خَيْرٌ} قال أبو عبيدة:
المعنى: تجدوه خيرا. قال الزجاج: ودخلت «هو» فصلا. وقال المفسرون: ومعنى «خيرا»
أي.
أفضل مما أعطيتكم {وَأَعْظَمَ أَجْرًا} من الذي تؤخرونه إلى وقت الوصية عند الموت.